يذكر جواب القسم وهو الغالب وتارة يحذفه وتارة يقسم علي ان القران حق وتارة علي
ان الرسول حق وتارة علي ان الجزا والوعد والوعيد فالاول كقوله تعالي فلا اقسم
بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم انه لقران كريم والثاني كقوله تعالي يس
والقران الحكيم انك لمن المرسلين والثالث كقوله والذاريات ذروا الي قوله وان
الدين لواقع وهذه الامور الثلاثة متلازمة فمتي ثبت ان الرسول حق ثبت ان
القران حق وثبت المعاد ومتي ثبت ان القران حق ثبت صدق الرسول الذي
جا به ومتي ثبت ان الوعد والوعيد حق ثبت صدق الرسول الذي جا به وفي
هذا النوع خمسة فصول الفصل الاول في قسمه تعالي علي ما خصه به من الخلق العظيم
وحباه من الفضل العميم قال الله تعالي ن والقلم وما يسطرون ما انت بنعمة ربك
بمجنون وان لك لاجرا غير ممنون وانك لعلي خلق عظيم ن من اسما الحروف كالم
والمص وق واختلف فيها فقيل هي اسما للقران وقيل اسما للسور وقيل اسما الله ويدل
عليه ان عليا رضي الله عنه كان يقول يا كهيعص يا حمعسق كما قيل ولعله اراد
يا منزلها وقيل انه سر استاثر الله بعلمه وقد روي عن الخلفا الاربعة وغيرهم من
الصحابة ما يقرب منه ولعلهم ارادوا انها اسرار بين الله ورسوله لم يقصد
بها افهام غيره اذ يبعد الخطاب بما لا يفيد وهل المراد بقوله تعالي هنا ن اسم
الحوت وهل المراد به الجنس او البهموت وهو الذي عليه الارض وقيل المراد به الدواة
وهو مروي عن ابن عباس ويكون هنا قسما بالدواة والقلم فان المنفعة بهما بسبب
الكتابة عظيمة فان التفاهم تارة يحصل بالنطق وتارة بالكتابة وقيل ان نون لوح
من نور تكتب فيه الملايكة ما يامرهم به رواه معاوية ابن قرة مرفوعا اقسم تعالي
بالكتاب والسنة وهو القلم الذي احدي اياته واول مخلوقاته الذي جري به قدره
وشرعه وكتب به الوحي وقيد به الدين واثبتت به الشريعة وحفظت به العلوم
وقامت به مصالح العباد في المعاش والمعاد في الناس ابلغ خطيب وافصحه وانفعه
لهم وانصحه واعظا تشفي مواعظه القلوب من السقم وطبيبا يبري باذن باريه
من الانواع الالم علي تنزيه نبيه ورسوله محمد المحمود في كل افعاله واقواله مما غمصته
اعداوه الكفرة به وتكذيبهم له بقوله تعالي ما انت بنعمة ربك بمجنون وكيف
يرمي بالجنون من اتي بما عجزت العقلا قاطبة عن معارضته وكلت عن ماثلته
وعرفهم عن الحق ما لا تهتدي اليه عقولهم بحيث اذعنت له عقول العقلا
وخضعت له الالباب الالباب وتلاشت في جنب ما جا به بحيث لم يسعها الا التسليم
والانقياد والاذعان طايعة مختارة فهو الذي كمل عقولها كما يكمل الطفل برضاع
الثدي ثم اخبر تعالي عن كمال حالتي نبيه صلي الله عليه وسلم في دنياه واخرته
فقال وان لك لاجرا غير ممنون اي ثواب غير منقطع بل هو دايم مستمر ونكر

الاجر

الاجر للتعظيم اي اجرا عظيما لا يدركه الوصف ولا يناله التعبير ثم اثني عليه بما منحه
فقال وانك لعلي خلق عظيم وهذه من اعظم ايات نبوته ورسالته ولقد سيلت
عايشة رضي الله تعالي عنها عن خلقه صلي الله عليه وسلم فقالت كان خلقه
القران ومن ثم قال ابن عباس وغيره اي علي دين عظيم وسمي الدين خلقا لان الخلق
هيية مركبة من علوم صادقة وارادات زكية واعمال ظاهرة وباطنة موافقة
للعدل والحكمة والمصلحة واقوال مطابقة للحق تصدر تلك الاقوال والاعمال
عن تلك العلوم والارادات تكتسب النفس بها اخلاقا وهي ازكي الاخلاق واشرفها
وافضلها وهذه كانت اخلاقه صلي الله عليه وسلم المقتبسة من القران وارادته واعماله
ما اوجبه وندب اليه القران واعراضه وتركه لما منع منه القران ورغبته فيما
رغب فيه القران وزهده فيما زهد فيه وكراهته لما كرهه ومحبته لما احبه وسعيه
في تنفيذ اوامره فترجمت ام المومنين لكمال معرفتها بالقران وبالرسول وحسن
تعبيرها عن هذا كله بقولها كان خلقه القران وفهم السايل عنها هذا المعني فاكتفي
به واشتفي ولما وصفه تعالي بانه علي خلق عظيم قال فستبصر ويبصرون بايكم
المفتون اي فستري يا محمد وسيري المشركون كيف عاقبة امرك فانك تصير
معظما في القلوب ويصيرون اذلا مغلوبين وتستولي عليهم بالقتل والنهب
الفصل الثاني في قسمه تعالي علي ما انعم به عليه واظهره من قدره العلي لديه
قال الله تعالي والضحي والليل اذا سجي ما ودعك ربك وما قلي السورة اقسم تعالي علي
انعامه علي رسوله صلي الله عليه وسلم واكرامه له واعطايه ما يرضيه وذلك متضمن
لتصديقه له فهو قسم علي صحة نبوته وعلي جزايه في الاخرة فهو قسم علي النبوة والمعاد
واقسم تعالي بايتين عظيمتين من اياته دالتين علي ربوبيته وحكمته وحكمته
ورحمته وهما الليل والنهار وفسر بعضهم كما حكاه الامام فخر الدين الضحي بوجهه صلي
الله عليه وسلم والليل بشعره قال ولا استبعاد فيه وتامل مطابقة هذا القسم
وهو نور الضحي الذي يوافي بعد ظلام الليل للمقسم عليه وهو نور الوحي الذي وافاه
بعد احتباسه عنه حتي قال اعداوه ودع محمدا ربه حتي اقسم بضو النهار بعد
ظلمة الليل علي ضو الوحي ونوره بعد ظلمة احتباسه واحتجابه وايضا فان الذي
اقتضت رحمته ان لا يترك عباده في ظلمة الليل سرمدا بل هداهم بضو النهار الي
مصالحهم ومعايشهم لا يتركهم في ظلمة الجهل والغي بل يهديهم بنور الوحي والنبوة الي
مصالح دنياهم واخرتهم فتامل حسن ارتباط المقسم به بالمقسم عليه وتامل هذه
الجزالة والرونق الذي علي هذه الالفاظ والجلالة التي علي معانيها ونفي سبحانه
ان يكون ودع نبيه او قلاه والتوديع الترك والقلا البغض اي ما تركك منذ اعتني
بك ولا ابغضك منذ احبك وحذف الكاف في قلا اكتفا بكاف ودعك ولان رووس الايات

Copyright King Saud University